منطلق التحدى قائلا «هؤلاء ليسوا أعمق تواضعاً بل أعمق عجرفة ، وهم لايضمدون جراح الساقطين من إخوانهم ، بل المدمرين للنظام الاجتماعى ، يسقط .. يسقط .. كل شئ ، ويصرخون : فلنسقط جميعا »[1] .

فهذا هو نفسه سقوط « عصابة السوء» فى حمأة الرذيلة فى غيبة الرادع على نحو ما يحكيه أبو نواس مرة على لغة الرفيق الواحد فى خطابه لأحمد بن صالح بن عبد القدوس :

يا أحمدَ المرْتَجَى فى كل نائبـــــة قم صاحِبى نعص جبَّار السمـــاوات

وكذلك كان ما عرضه من زعامته لعصابة السوء التى لم يتردد فى تسجيل إعجابه المفرط بها ، حتى مع إدراكه مدى بغض مجتمعه لها :

عصابةُ سُوءٍ لا تَرى الدهر مثْلَهُـــم وإن كنت منهم لا بريئاً ولا صِفْـــراً

من هنا نعود إلى مابدأنا به هذا الحوار من ضرورة الانتقاء عن تبصُّر من شرائح الواقع. بحيث لا يمنح للشاعر الحق فى أن يجور عليه بهذه الرؤية الأحادية التى تسقط الحقائق أو تمحوها محواً ، ، وهو ما يجب أن يسود أيضا فى عالم النقد حين يأخذ بُعداً اجتماعيا تطرح فيه علاقات الفن والمجتمع بما تتسم به من خطر وحيوية ، لأنها إنما تنظم استجابة المرء الجمالية للعمل الفني وتعميقه ، فمن الطبيعى - بل من البدهى - أن نتصور أن الفـــن من عمل مبدع بعينه ، فى زمان وما مكان محدَّدَيْن هما تاريخه ، فإذا ما وصل الشاعر إلى أى من تلك الطرق المسدودة ، وحاول أن يعلن فى وقاحة المخمور ، وعربدة السكير وعبث الماجن ، أو قصد الزنديق عن تحدِّيه للقيم وتمرده عليها بدا من واجب الناقد - بهذا المقياس - أن يُعْنَى بتقصى ما وراء الوسط الاجتماعى الذى ينتمى إليه الشاعر ، واستكشاف مدى استجابة الشاعر له ، وتبيُّن طريقته فى معالجته أو على حد تعبير (تين) فى مقولته المشهورة بأن الأدب « حصيلة الفترة والعنصر والوسط » ، وبذا يظل على الناقد أن يكون على درجة من الواقعية فى إصدار حكمه ، وألا يسرف فى تضييق الخناق على المبدع فى كل الأحوال ، كأن يمدح قطعة له أو يستهجنها طبقا لضمامينها الاجتماعية أو الأخلاقية ، أو اتساقها مع معتقدات الناقد نفسه فحسب ، فهنا يكمن الخطر ، إذ قد ينزلق الناقد -عندئذ - إلى عالم الهوي ، وعندها يفتح الباب على مصراعَيْه بشيوع الفوضى النقدية التى

---

(١) نفسه ٧٢ .